الاخـتـزال في كلام العرب

د. محمد بن سعد الشقيران

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ملخص البحث

لا شك أن العرب قد تشرَّبوا لغتهم، وأوغلوا فيها، حتى بدا لهم أن يتوسَّعوا فيها ما شاء الله لهُمْ أن يتوسعوا، فلجؤوا إلى أساليب كثيرة، يتبين جليَّاً للمتأمِّل فيها أنهم إنما صنعوا ذلك للترف الحاصل في لغتهم. ومن تلك الأساليب التي لجؤوا إليها: الاختزال.

وهذا البحث يعالج الاختزال، ويعرض حالاته وصوره، وشواهده متعرضا لها بالشرح والتحليل والتوجيه.

Abstract

There is no doubt that the Arabs have drunk their language, and penetrated it, so they began to expand in what God wanted them to expand, they resorted to many methods, it is clear to meditate that they did it for the luxury achieved in their language. One of the methods they resorted to: reduction.

This research deals with reduction, and presents its cases and images, and evidence exposed to the explanation, analysis and guidance.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب الأمين، وآله وصحبه الطيبين. أما بعد، فإن العرب – لِما وهبها الله سبحانه من قوة العارضة، وسهولة المنطق، وظاهر البيان، لأمر هيَّأها له سبحانه – قد حازت شرفاً عظيماً. وأيُّ شرف!. ولا أدلَّ على ذلك الشرف العظيم من نزول أعظم كتاب منزل من السماء بلُغتهم. لكنَّ هذا الشرف كان مغموراً مطموراً متجاهلاً من قبل الأمم الأخرى، كفارس والروم، حتى أتى الله بهذا الدين العظيم، وأرسل سبحانه إلى الناس كافة محمداً الأمين. عليه أزكى الصلاة والسلام.

وهذه اللغة التي نتحدَّث عنها، كان أهلها قد تشرَّبوها، وأوغلوا في ذلك، حتى بدا لهم أن يتوسَّعوا فيها ما شاء الله لهُمْ أن يتوسعوا، فلجؤوا إلى أساليب كثيرة، يتبين جليَّاً للمتأمِّل فيها أنهم إنما صنعوا ذلك للترف الحاصل في لغتهم. ومن تلك الأساليب التي لجؤوا إليها: الاختزال.

والاختزال هو إسقاط بعض حروف الكلمة منها. وهم يوقنون أن ما بقي من الكلمة دالٌّ – ولا ريب – على ما حذف منها.

وليس ترفهم في لغتهم، وتفنُّنهم فيها في باب الحذف فقط، بل يتجلَّى ذلك في أبواب أخرى كثيرة، فقد يعبِّرون بالكلمة أو بالجملة، وهم يريدون معنى آخر. تسمعهم يقولون: "سُقِط فلان في يده"، وتعلم أن معناها عندهم: ندم وتحسَّر، لكنَّك لو حلَّلت مفردات هذه الجملة، كلمة كلمة، لم تستطع إسقاط مفردات الجملة على المعنى المراد. أترى ذلك عيًّا فيهم؟ لا والله، ما ذلك بعيٍّ، ولكنه الترف اللغوي. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ ﴾[1].

(١) الأعراف: ١٤٩.

وتسمعهم يقولون: "كذب عليك كذا"، وتعلم أنهم يريدون حض المستمع على أن يفعل أمراً ما.

لكنك لو أخذت الجملة، كلمة كلمة، لم تستطع إسقاط مفردات تلك الجملة على المعنى المراد. جاء رجل إلى عمر، ﷺ، يشكو المَعَص – والمعص التواءٌ في عَصَب الرِّجْل –، فقال له عمر، رضي الله عنه: "كذب عليك العسلُ". أي امشِ مشياً سريعاً، ينطلقْ عصب رجلك. فـ (كذب) هنا لم تأت على معناها المستقرّ في الذهن، بل عبّر بها لإرادة الحثِّ والحضّ.

و(العسل) هو المشي السريع، من عَسَلان الذئب. وقال عمر أيضاً: "كذب عليكم الحج، كذب عليكم العمرة، كذب عليكم الجهاد". أي عليكم بهذه الشعائر الثلاث.

وقال عنترة يخاطب عبلة:

كذب العتيق وماءُ شــنٍّ باردٍ إن كنتِ سائلتي غبوقاً فاذهبي

وقد جرَّ لفظ (باردٍ) على الجوار. والأصل رفعه، فهو نعت للماء، وليس نعتاً للشَّنِّ.

ومما هو في هذا السياق: تعاقب الأفعال، فتراهم يأتون بالماضي بالياء، وبمضارعه بالألف اللينة، كـ (رقي يرقى)، أي صعد يصعد، ثم تراهم يعكسون في الفعل نفسه، فيأتون بالماضي منه بالألف اللينة، وبمضارعه بالياء، فيقولون: (رقى يرقي)، أي: نفث على المريض. ومثل هذا: (روي يروَى) و(روَى يروي)، و: (حمي يحمَى) و(حمَى يحمي).

أتراهم عاجزين عن أن يأتوا لكل فعل مما سبق آنفاً، بأفعال تؤدِّي ما أرادوا، من غير أن يلجؤوا إلى مثل هذه الطريقة، وهي طريقة التعاقب؟ أترى في لغتهم شحَّاً عن ذلك؟ لا والله، ولكنه الترف اللغوي، والسعي إلى التفنن في تنويع طرائق التعبير.

ومما هو في هذا السياق أيضاً: ما يعرف بالمشترك اللفظي، وهو أن يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى، ككلمة (العين)، فإن من معانيها العين المبصرة، ومن معانيها الجاسوس، ومن معانيها عين الماء، ومن معانيها الحسد، ومن معانيها الشيء نفسه، تقول: (هذا كتابي عينه)، أي نفسه.

على أن العرب قد لجأت إلى عكس المشترك اللفظي تماماً، وهو الترادف، حتى عدَّ علماء العربية للسيف أكثر من مئة اسم.

إن التنوع في التعبير بين الترادف والمشترك اللفظي ليدلك على أن العرب لم يتخذوا العربية أداة تعبير وإيصال للمعاني فقط، بل اتخذوها أداة للإبداع والإمتاع.

ومما هو في هذا السياق أيضاً: التضادُّ، وهو التعبير بكلمة واحدة، عن المعنى وضدِّه، كـ (الجون)، للأبيض والأسود، و(الجلل) للأمر اليسير، وللأمر الخطير.

ومما هو في هذا السياق: التعبير عن الشيء بضدِّه، كالتعبير بكلمة (المفازة)، وهم يريدون المهلكة، والتعبير بكلمة (السليم)، وهم يعنون اللديغ.

أترى ذلك جهلاً منهم بالمعنى الدقيق للكلمة؟ لا، ولكنه الترف اللغوي.

ومما هو في هذا السياق: العطف بالرفع، على المحل.

أنت تقول: (إن محمداً لكريم وزيداً).

تعطف (زيداً) على (محمد).

ويجوز لك أن تقول: (إن محمداً لكريم وزيدٌ). وهنا تكون قد عطفت (وزيد) على محل (إن) واسمها، فإن محل اسم (إن) قبل دخولها عليه الرفع على الابتداء. قال تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾(١).

(١) التوبة: ٣.

بل إن العرب تجاوزت إلى ما هو أكبر من ذلك، فتراهم يعطفون بالرفع على محل اسم (إن) قبل تمام الخبر، قال الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينة رحلُه فـــإني وقيَّارٌ بها لغريـــبُ

فقد عطف بالرفع على محل (إن) واسمها قبل تمام الخبر.

ومما هو في هذا السياق: القلْب، وقد يكون القلب في الإعراب، كقولهم: (خرق الثوبُ المسمارَ).

فالفاعل والمفعول معلومان. وهذا قلب في الإعراب. وقد يكون القلب في المعنى، كقولهم: (أدخلت القلنسوة في رأسي).

وإنما الداخل هو الرأس، لا القلنسوة، قال تعالى في قصة قارون: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ (١). وإنما الذي ينوء بالمفاتيح هو حاملها، وليست المفاتيح هي التي تنوء به. وقد قالت العرب: "وإن فلانة لتنوء بها عجيزتها"، وإنما المرأة هي التي تنوء بعجيزتها.

ومما هو في هذا السياق: أن يؤتى بفعل الشرط، ويترك جوابه، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾(٢). فجواب الشرط غير موجود، ويمكن أن يقدَّر بـ (فافعل). وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾(٣). فالجواب محذوف، ويمكن أن يكون تقديره: (لكان هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد). قال تعالى في تمام الآية: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٤). وقد جاء الفعل (ييأس) هنا على غير معناه المستقرِّ في الأذهان، فـ (ييأس) هنا بمعنى (يعلم)، قال الشاعر:

---

(١) القصص: ٧٦.
(٢) الأنعام: ٣٥.
(٣) الرعد: ٣١.
(٤) الرعد: ٣١.

أقول لهم بالشِّعب إذْ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم؟

أي: ألم تعلموا؟

ومما هو في هذا السياق: العطف على مذكور بعيد، قد نسيه المستمع. وما ذلك إلا لتنبيه ذلك القارئ أو المستمع، وشدِّه إلى المعطوف عليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾[1].

فقوله تعالى: ﴿ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾. معطوف على قوله تعالى: ﴿ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾.

ومما هو في هذا السياق: أن يحذف جزء من الكلمة، ليس لأجل الإعراب، ولكنْ – كما قال علماؤنا – اعتباطاً، فتراهم يقولون في مضارع (رأى): (يرى). ولو أتوا به على وجهه لقالوا: (يرأى)، كما قالوا: (يرعى)، و(يسعى). لكنهم حذفوا عين الفعل اعتباطاً. على أن أحد الشعراء قد أعاد هذا الحرف المحذوف، وهو سراقة البارقي، قال:

أُرِي عينيَّ ما لم ترأياه كلانا عالم بالتُّرَّهات

فقال: (ترأياه)، ولم يقل: (ترياه).

تلك بعض سمات العربية. وهي أكثر من أن تحصى.

نعود الآن إلى ما نحن بصدده، وهو الاختزال.

(١) الأحزاب: ٥٣.

توطئـــة

الاختزال في اللغة هو الاقتطاع، جاء في حديث الأنصار، رضي الله عنهم: "وقد دفَّت دافَّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا"(١). أي يقتطعونا ويذهبوا بنا منفردين.

وهو بمعنى الحذف أيضاً، قال ابن سيده: "استعمله سيبويه كثيراً. قال: ولا أعلم ذلك عن غيره"(٢).

والاختزال في حروف العربية يكون بإسقاط حرف أو أكثر، من آخر الكلمة، للتخفيف غالباً. ولا يقع في حشو الكلمة، إلا نادراً.

ووقوعه في آخر الكلمة مختصٌّ ببعض الحالات، كأن يكون الاسم مرخَّماً، أو أن يكون الحذف وقع ضرورة، أو أن يكون لهجة لإحدى قبائل العرب، كحذف الحرف نطقاً، وإقامة الحركة مقامه، وهي لغة الأزد، كما ذكر ذلك الأخفش، وحكم عليه بالقبح. يقولون: (مررت بهِ)، باختلاس الكسرة، بغير إشباع، ويقولون: (مررت بهُ)، باختلاس الضمة، بغير إشباع أيضاً. قال الأخفش: "يكسرون ويضمون، ولا يلحقون واواً ولا ياء"(٣).

وقال الشاعر:

له زجلٌ كأنَّهُ صوت حـــاد إذا طلب الوسيقةَ أو زَميرُ

باختلاس الضمة التي فوق الهاء من (كأنَّه)، من غير إشباع.

والاختزال – كما سبق – يكون بحذف حرف واحد من آخر الكلمة، وهذا هو الأكثر، ولكنْ قد يحذف تبعاً لذلك الحذفِ حرفٌ آخر.

أ- إما أنه حذف قبل حذف الحرف الأخير، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾(٤)، فقد حذفت الواو، لسكونها وسكون النون،

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود. ينظر الفتح ١٠٨/١٤ رقم الحديث (٦٨٣٠).
(٢) ينظر اللسان (خ ز ل).
(٣) معاني القرآن ٢٨/١.
(٤) سورة مريم الآية (٢٠).

ولما حذفت النون المتطرفة بقيت الواو على حذفها ولم تَعُدْ، رغم زوال سبب الحذف، وهو التقاء الساكنين، فنابت عنها ضمة على الكاف.

ب- وإما أن يكون الحذف قائماً، مثل (نُعْمَ) مرخم (نعمان)، فإن الحذف قد لحق حرف اللين الساكن أيضاً. وحُذِف هنا؛ تحاشياً من الوقوف على حرف علة، قال ذلك الفراء[1].

❁❁❁❁❁

(١) ينظر "همع الهوامع" ٣/٨١، ٨٥.

حـــالات الاخـــتزال

أولاً: حذف حرف واحد:

يردُ حذف الحرف في أبواب عدة، منها – كما ذكر سيبويه[١] وغيره – باب الترخيم، الذي تحذف فيه أواخر الأسماء تخفيفاً، ومنها ما عدَّه بعض النحاة ضرورة شعرية. وحكم بعضهم على نوع من الحذف – سيأتي لاحقاً – بالشذوذ. وقد يكون الحذف بسبب التخفيف والتسهيل.

ووقوع الحذف على أحرف بعينها لا يعني عدم وقوعه على غيرها، إلا أنه كثر في كلام العرب حذف النون مثالاً من (مِنْ)، و(عن)، وحذف الألف التي هي صلة هاء التأنيث في بعض لهجات العرب، وحذف أحرف أخرى، كما سيرد إن شاء الله.

التفصيل

أ-حذف النون:

تحذف النون في مواضع عدة، أشهرها:

الموضع الأول: مجاورتها (ال) المعرفة، كقولهم: (بَلْحارثِ) و(بَلْعَنْبَرِ) في بني الحارث وبني العنبر. فقد حذفت النون هاهنا.

وقد رد النحاة ذلك إلى تقارب المخرجين: النون واللام، ذُكر ذلك عن سيبويه والمبرد وأبي علي[٢].

أما المحْدثون فيردُّون ظاهرة حذف النون إلى علاقة الأصوات المائعة – وهي اللام والميم والنون والراء – ببعضها، تلك التي تتبادل المواقع بينها[٣].

ومن الشواهد التي وقع فيها حذف النون، قول الأعشى[٤]:

---

(١) الكتاب ٢/٢٣٩.

(٢) فقه اللغة المقارن، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب ٣/١٧٣ بحث بعنوان (حذف النون وشبهها قبل لام التعريف) د. محمد الباتل. وينظر أيضاً: من أسرار اللغة ص٥٣.

(٤) ضرائر الشعر، ص١١٤.

وكأنَّ الخَمر المدامةَ مِــلْ إسفنطِ ممزوجةً بماء زلال

يريد: من الإسفنط. والإسفنط ضرب من الأشربة، وهو فارسي معرَّب. قاله صاحب اللسان[١]، ورواه:

وكأن الخمر العتيق من الإس فنط ممــــزوجةً بماء زلال

وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت.

ومن ذلك قول النجاشي الحارثي[٢]:

فلست بآتيه، ولا أســـــتطيعه ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

يريد: ولكنِ اسقني.

ومنه أيضاً قول الآخر[٣]:

كأنهـــما مِلآنَ لــم يتغـــيَّرا وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصر

يريد: من الآن.

ومنه قول الشاعر:

نحن قـــوم مِلْجِـــنِّ في زيِّ ناس فوق طير لها شخوص الجِمال

يريد: (من الجن).

وحذف النون مع (ال) – كما هو واضح – إنما ينال ما كانت (ال) فيه قمرية. أما إذا كانت شمسية فإن حذف النون إذ ذاك شاذ، ولكنْ إذا حذفت أظهرت اللام، قال المؤرخ التغلبي:

المطعمين لـدى الشـــتـا ء سدائفاً مِلْنيبِ غُـــرَّا

يريد: من النيِّب. قاله أبو حيان[٤].

---

(١) لسان العرب ٣١٥/٧ س ف ط. وخبر (كأن) هو متعلق (من) الجارة.
(٢) ضرائر الشعر، ص١١٥.
(٣) المرجع السابق، ص١١٥.
(٤) ارتشاف الضرب ٧٢٢/٢.

الموضع الثاني: كونها للوقاية، مع (ليت)، و(عن) و(قد).

ومن شواهد حذفها: قول زيد الخيل [زيد الخير] [١]:

كمُنْية جابر إذ قال: ليتي أصادفه وأفقدُ جل مالي

وقول الآخر [٢]:

أيها الســـــائل عنهم وعَنِيْ لست من قيسٍ ولا قيسُ مِنِيْ

وقول الشاعر [٣]:

قدْنِيَ من نصر الخُبيبين قَدِيْ.

الموضــع الثالــث: نون جمع المذكر السالم، في غير إضافة، قال الشاعر [٤]:

يقولون: ارتحل قبلي قريشاً وهم متكنِّفو البيتَ الحراما

يريد: وهم متكنفون. والدليل على أنه يريد (متكنفون) أنه نصب ما بعدها، على أنه مفعوله.

وقد رد ابن عصفور [٥] سبب هذا الحذف إلى تشبيهه بالاسم الموصول، واستشهد بقول الأخطل:

أَبَنيْ كليبٍ، إن عمَّيَّ اللذا قتلا الملوك وفكَّكا الأغلالا

يريد: (اللذان). والشاعر هنا لم يأت بضمير فصل بين اسم (إن) وخبرها، مراعاةً للوزن، ثم إنه لا يلزم – حتى في سعة الكلام – أن يؤتي بضمير الفصل هاهنا؛ لأن رفع خبر الحرف الناسخ ظاهر، فهو معرب بالحرف. ولو أنه معرب بالحركة لَلَزِم أن يؤتى بضمير الفصل.

---

(١) ضرائر الشعر، ص١١٣.
(٢) المرجع السابق، ص١١٣.
(٣) المرجع السابق، ص١١٣.
(٤) المرجع السابق، ص١٠٧.
(٥) ضرائر الشعر ص١٠٩.

ومن حذف نون الموصول قول الأشهب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

يريد: وإن الذين.

كما يرد حذف النون في الأمثلة الخمسة، دون ناصب، ولا جازم، جاء في الحديث الشريف[1] "يا رسول الله، كيف يسمعوا، وأنَّى يجيبوا، وقد جيَّفوا"؟

وجاء أيضاً: قال رجل لرسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إن لي قرابة أصِلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي".

فقد حذف نون الإعراب من (يقطعوني)، وأثبتها في (يسيؤون).

على أن إثبات النونِ والفعلُ منصوبٌ قد ورد عنهم أيضاً. قال الشاعر:

أن تقرآن على أسماءَ – ويْحَكُما – منِّي السلام، وأنْ لا تخبرا أحداً تخبرا

فقد أثبت النون مع وجود (أن) الناصبة في (تقرآن)، ثم حذفها في (أن لا تخبرا).

وقال الشاعر[2]:

أبيت أسري، وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

ب: حذف الألف:

وتحذف الألف في حالتين تكون فيهما متطرفة:

١–لمجاورتها ساكناً من أول الكلمة، فتحذف هذه الألف لالتقاء الساكنين، كقولهم "مَنْ عَلْماءِ"؟ يريدون: مَنْ على الماء؟

فقد حذفت الألف في (على) لالتقائها بلام التعريف القمرية الساكنة. والحقُّ أنها لم تلتق بها حقيقة، ولكنْ لأنه ليس بينهما إلا حاجز واهٍ غير حصين، وهو همزة الوصل، أقول: لذلك قدَّرنا عدم وجود هذه الهمزة.

بعد هذا الحذف حالت الكلمة إلى (علَلْماءِ)، ثم حذفت إحدى اللامين.

---

(١) صحيح مسلم ٣٢٧/١٧ رقم الحديث (٢٨٧٤).
(٢) الارتشاف ٢٤١٣/٥.

والسؤال: أي اللامين حذفت؟ ألام (على)، أم اللام القمرية؟

يرى ابن الشجري وابن يعيش أن الحذف قد وقع على لام (على) [١].

أما المبرد فلم يحدد أيهما حذف. يقول:

"فإن العرب إذا التقت في مثل هذا لامان استجازوا حذف إحداهما؛ استثقالاً للتضعيف، لأن ما بقي دليل على ما حذف. يقولون: عَلْماءِ بنوفلان"[٢].

فيلحظ في هذا النص أنه لم يحدد اللام المحذوفة، بل قال "استجازوا حذف إحداهما".

ومن شواهد حذف الألف قول الفرزدق[٣]:

فما سُبق القيسي من سوء سيره ولكنْ طَفَتْ عَلْماءِ غُرلة خالد

وقول قطري بن الفجاءة[٤]:

غداة طفت عَلْماءِ بكرُ بْن وائل وعُجنا صدور الخيل نحو تميم

(١) مجلة جامعة الملك سعود. كلية الآداب ١٧٦/٤، ١٧٧، بحث في (حذف النون وشبهها). للدكتور محمد الباتل. وقد تابع الدكتور ذين العلمين في أن المحذوف هو لام (على).

(٢) الكامل ٢٦١/٢.

(٣) الكتاب ٤٢٤/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٧٧/٢.

٢-حذف الألف الواقعة صلة لهاء ضمير المؤنث:

وهذا الحذف قد استقبحه ابن عصفور. يقول[١]:

"وأما الألف الواقعة صلة لهاء ضمير المؤنث فإن حذفها والاجتزاءَ بالفتحة عنها، من قبيح الضرائر". وقد حكم ابن جني على ذلك بالشذوذ. ذكر ذلك عنه البغدادي في الخزانة[٢]. وأورد هذين البيتين:

أعلقْتُ بالذئب حبلاً، ثم قلت له: الحقْ بأهلك، واسلَمْ أيها الذيبُ

إمـــا تقـــودُ به شـــاة، فتـأكلُها أو أن تبيـــعَهُ في بعض الأراكيبِ

يريد: أو أن تبيعها، أي الشاة، فحذف الألف، وهذا شاذ.

ومنه أيضاً حذف الألف في الوقف، وإلقاء حركة الضمير على ما قبلها، قال ابن عصفور[٣]: "وكذلك أيضاً حذفها في الوقف، وإلقاء حركة الضمير على ما قبلها من قبيل الضرائر"، ومن ذلك قوله:

فإني قد ســئمت بدار قوم أموراً كنـــت في لُخْم أخافَه

يريد: أخافُها. فقد حذف الضمير، وألقى حركته على الحرف الذي قبله". وهذا حسنٌ؛ لأنه في آخر الكلام، بخلاف البيتين السابقين في الذئب، لأن الكلمة التي وقع عليها الحذف هناك ليست آخراً. قال ابن عصفور: [٤] "وربما فعلوا ذلك في سعة الكلام، حكى الفراء: "بالفضل ذو فضَّلكم الله بـهِ، والكرامةِ ذاتُ أكرمكم الله بَهْ". يريد: بها. فحذفت الألف، ونقلت حركة الهاء إلى البناء".

(١) ضرائر الشعر، ص١٢٥.
(٢) خزانة الأدب ٥/٢٧١. أقول: وفي البيتين الموردين إقواء.
(٣) ضرائر الشعر، ص١٢٥.
(٤) ضرائر الشعر، ص١٢٥.

ج-حذف أحرف أخرى:

ورد حذف أحرف أخرى، إما للترخيم – كما هو الأكثر – وإما لغيره، كالتخفيف، أو لضرورة الشعر. ومن أمثلة حذف هذه الأحرف ترخيماً: حذف الباء في (صاحب)، فقد رويت: (يا صاحِ)، قال المبرد[١]: "وأما قولهم:

صاح، هل أبصرت بالخبتين من أسماءَ ناراً؟

يريد (صاحب)، فأسقط النداء ورخَّم النكرة"، وقال الآخر[٢]:

يا صاحِ، يا ذا الضامر العنسِ والرحل والأقتاب والحلس

قال ابن مالك[٣]: "وكثر دعاء بعضهم بعضاً بـ (الصاحب)، فأشبه العَلَم، فرخِّم بحذف بائه".

وممَّا ورد مرخَّما بحذف داله قول الشاعر[٤]:

فقلتم: تعالَ يا يــزيْ بْن محزِّم فقلت لكم: إني حليف صداء

ولعله يُلحظ أثناء نطق (يزيد) مرخماً هاهنا أننا اختلسنا الزاي اختلاساً، فلم تظهر الياء الثانية في النطق، ولو أن المكتوب: (يا يزِيْ أقبل) لظهرت تلك الياء في النطق واضحةً.

ومما ورد مرخماً بحذف رائه قول النابغة الذبياني[٥]:

فصالحونا جميعاً إن بدا لكمُ ولا تقولوا لنا أمثالَها عامِ

يريد: يا عامر.

ومما ورد مرخماً بحذف سينه[٦]:

(١) المقتضب، ٤/٢٤٤.
(٢) المرجع السابق، ٤/٢٤٣.
(٣) شرح الكافية الشافية، ٣/١٣٦٠.
(٤) الكتاب، ٢/٢٥٣.
(٥) الكتاب، ٢/٢٥٢.
(٦) الكتاب، ٢/٢٥٤.

تنكَّرْتِ منا بعد معـــرفة لِمِي وبعد التصابي والشباب المكرم

يريد: يا لميس.

ومما ورد مرخماً بحذف كافه قوله تعالى: (وَنَـادَوْاْ يَامَـالُ لِـيَقْضِ عَلَيْنَـا رَبُّكَ)[1] أي: يا مالكُ.

ومنه قول عمرو الأنصاري:

إن بجيراً عبدٌ لغيركـــــمُ يا مالِ، والحقُّ عنده. فقفوا

هذا في الترخيم.

وقد ورد حذف الحرف في غير ترخيم. ولعله أن ينظم في سلك الضرورة الشعرية، قال الشاعر[2]:

ليس حي على المنون بخالِ

يريد: بخالد. وقال امرؤ القيس:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريف بن مالٍ ليلة الجوع والـخَصَر

يريد: طريف بن مالك.

أما التاء من آخر العلم، كالتي في (حارثة)، و(معاوية) و(حمزة) وغير ذلك فإنه قد كثر حذفها ترخيما، إما والعلم منادى، وإما وهو غير منادى.

فمما حذفت فيه والعلم منادى قول العجاج[3]:

جاريَ، لا تستنكري عذيري سيري وإشفاقي على بعيري

يريد: يا جارية.

وقول عنترة بن شداد[4]:

---

(١) سورة الزخرف الآية (٧٧).
(٢) شرح الأشموني على الألفية ١٨٤/٣.
(٣) الكتاب ٢٣١/٢، ٢٤١، والمقتضب ٢٦٠/٢.
(٤) الكتاب، ٢٤٦/٢.

يدعون: عنترُ والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

يريد: يا عنترة.

وقوله أيضاً [١]:

يا عبلُ، لا أخشى الحِمام، وإنما أخشى على عينيك طول بكاكِ

يريد: يا عبلة.

ومما حذفت منه والعلم غير منادى قول الشاعر:

خذوا حظكم يا آل عكرمَ، واذكروا أو صرنا. والرِّحْم بالغيب تذكر [٢]

وقد يقال: إن (آل عكرمة) منادى، فلو نظم مع سابقه، فإنهما سواء.

والجواب: أن المنادى ليس (عكرمة) الذي فيه التاء، وإنما المنادى هو (آل عكرمة)، وفرق بين الاثنين. فـ (عكرمة) هنا مضاف إليه، وليس منادى.

وقول الآخر [٣]:

إما تريني اليـــــوم أمَّ حَمزِ قاربْتُ بين عَنَقي وجَمْزي

وهذا أيضاً يقال فيه ما قيل في سابقه، فإن المنادى هو (أم حمزة) وليس حمزة.

وقول أوس بن حبناء[٤]:

إن ابن حارثَ إن أشتقْ لرؤيته أو أمتدحْه فإن الناس قد علموا

وقول الأسود بن يعفر[٥]:

وهذا ردائي عنده يســـــتعيره ليسلبني حقي. أمالِ بن حنظل

---

(١) ديوانه ص٣٧.
(٢) همع الهوامع ٣/٧٨.
(٣) الكتاب ٢/٢٤٧.
(٤) الكتاب ٢/٢٤٦.
(٥) الكتاب ٢/٢٤٦.

وفي هذا البيت شاهدان: الأول (أمال)، وهذا منادى مرخم، حذفت منه الكاف، وقد مر قريباً، وليس هو موطن الشاهد هنا، والثاني: (ابن حنظل) فإن الاسم هنا مرخم في غير النداء، وأصله: (ابن حنظلة).

ومنه أيضاً قول ذي الرمة:

دار لميَّة إذ مـــيٌّ تســـــاعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب[١]

قال سيبويه[٢]: "وزعم يونس أنه كان يسميها مرة (مية)، ومرة (ميَّاً)، ويجعل كل واحد من الاسمين اسماً لها في النداء وفي غيره.

ثانياً: حذف أكثر من حرف:

يقع الاختزال في الكلمة بحذف حرف واحد يقع متطرفاً، بسبب الترخيم أو الضرورة، كما مر. قال سيبويه[٣]: "والترخيم حذف أواخر الأسماء المفردة، تخفيفاً".

وعندما يقع قبل الحرف المتطرف حرف لين ساكن فإن الحذف يلحقه أيضاً، فيتوالى على الكلمة حذفان، كما في (عُثْم)، و(مَرْوَ) من (عثمان)، و(مروان)، قال سيبويه[٤] في (يا منصُ) من (منصور)، و(يا عمَّ) من (عمار): "وذلك لأنك حذفت الأخير، كما حذفت الزائد" وجعل عنوان الباب: "هذا بابٌ يكون فيه الحرف الذي من نفس الاسم وما قبله بمنزلة زائد وقع وما قبله جميعاً"، قال السيوطي[٥] "ويحذف مع الآخِر متلوُّه، ليّناً ساكناً زائداً، قبله قبله أكثر من حرفين وحركة تجانسه". وقد أجاز الفراء الحذف في ما كان على حرفين، كما في (ثمود) و(عماد) فيقال: يا ثَمُ، يا عِمَ. وإنما قال بالجواز؛ فراراً

(١) المرجع السابق، ٢٤٧/٢.
(٢) المرجع السابق، ٢٤٧/٢.
(٣) المرجع السابق، ٢٣٩/٢.
(٤) الكتاب ٢٥٩/٢.
(٥) همع الهوامع، ٨٤/٣.

من بقاء آخر الاسم واواً بعد ضمة. ذكر ذلك عنه السيوطي[١]. ومذهب سيبويه في هذا أنه يجيز الحذف إن بقي بعد الحذف ثلاثة أحرف فصاعداً، ولم ينتظر المحذوف. وتابعه أبو حيان النحوي[٢]. ومن الشواهد في ذلك قول أنس بن زنيم[٣]:

أحار بن بدر، قد وليت ولاية فكن جُرَذَاً فيها تخون وتسرق

يريد: يا حارثة.

وقول زميل بن الحارث[٤]:

يا أرطُ، إنـك فاعلٌ ما قلتَه؟ والمرء يستحيي إذا لم يصْدق

يريد: يا أرطأة.

وقول العجاج[٥]:

فقد رأى الراؤون غير البُطَّل أنك يا معاوِ، يا ابن الأفضل

يريد: يا معاوية.

وقد وقع الحذف على حرفين في نحو قول الشاعر:

لم يك الحق على أن هاجــه رسم دار قد تعفَّى بالطَّلل

فقد حذفت الواو والنون من (يكون)، فانثُهِك حرفان: أحدهما متطرف، وهو النون، والثاني ساكن ليِّن. وقد عد ابن مالك مثل هذا الحذف للتخفيف.

وقد يقع الحذف على الجزء الثاني من المركب عند ترخيمه، أجاز ذلك البصريون، تقول: (يا حضْرَ)، و(يا خمسة)، و(يا سِيبَ) من (حضرموت) و(خمسة عشر) و(سيبويه).

(١) المرجع السابق، ٣/٨٥.
(٢) تذكرة النحاة ص٦٧.
(٣) الهمع ٣/٨٥.
(٤) الهمع، ٣/٨٦.
(٥) المرجع السابق، ٣/٨٦.

ومنع الكوفيون ترخيم ما آخره (ويه). وكذا أبو حيان وأكثر النحويين، قال ذلك السيوطي[١]، ثم عقَّب بقوله: "إنه لم يحفظ عن العرب في شيء من كلامهم".

ومن شواهد هذه المسألة قول الشاعر[٢]:

أقاتليَ الحجـــاجُ إن لم أزُرْ له درابِ، وأتركْ عند هند فؤاديا؟

يريد: (درا بُجِرْدَ). وهو شاذٌّ، لا تبنى عليه قاعدة، كما صرح بذلك السيوطي[٣].

وجازمُ فعل (أتركْ) ليس (لم)؛ لفساد المعنى بذلك. بل هو مجزوم بـ(إنْ).

ثالثاً: الحذف في حشو الكلمة

قد يقع الحذف في وسط الكلمة، ولكنه نادر. وعُدَّ وروده ضرورة شعرية، كما أشار إلى ذلك ابن عصفور[٤]. ومما ورد في ذلك قول عبدالله بن الزبعرى[٥]:

حين ألقتْ بقـــباءٍ بَرْكها واستحرَّ القتل في عبد الأشلْ

يريد: في بني عبد الأشهل. ومنه أيضاً قول ذي الإصبع العدواني[٦]:

لاهِ ابنُ عمك، لا أفضلت في حسب عني، ولا أنت دياني فتخزوني

يريد: لله ابن عمك.

---

(١) همع الهوامع، ٨٢/٣.
(٢) الهمع ٨٢/٣.
(٣) المرجع السابق ٨٢/٣، ٨٣.
(٤) ضرائر الشعر، ص١٤٣، ١٤٤. ولكنْ يمكن أن يقال: ورد ذلك في سعة الكلام، كما روي عن عبدالمطلب، جد رسول الله ﷺ أنه قال: "لاهُمَّ، إن العبد يمنع رحله. فامنع رحالك". يريد: (اللهُمَّ).
(٥) ضرائر الشعر ص ١٤٤، وينظر الخصائص ٨١/١.
(٦) المقتضب ٤٤١/٢، وينظر ضرائر الشعر ص١٤٤.

رابعاً: الاجتزاء

يرى الفراء[١] أنَّ كلَّ مدٍّ بالياء أو الواو، ينتج عن هذا المد إشباع، أن هذا المد يمكن أن يقصر، ويجتزأ بحركة مختلَسة مكان ذلك المحذوف، فإن كان المد بالياء أُهمل ذلك المد، واجتزئ بكسرة مختلسة على الحرف الذي يسبق الياء.

وإن كان المد بالواو أهمل ذلك المد، واجتزئ بضمة مختلسة على الحرف الذي يسبق الواو. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾[٢].

فقد أغفل الإشباع بعد الضمير في (نولّه)، واجتزأ بالكسرة. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ ﴾[٣]. فقد حذفت الياء في (المهتد)، واختلست الكسرة. ومنه قول مضرِّس الأسدي[٤]:

فَطِرْت بمُنْصُلي في يَعْمَلات دوامي الأيدِ يخبِطن السريحا

يريد: (الأيدي).

ومنه قول رجل من باهلة[٥]:

ما حج ربَّهُ في الدنيا ولا اعتمرا

فقد اجتزأ باختلاس الضمه في (ربَّهُ)، ولم يُشْبع.

---

(١) معاني القرآن ٢٧/٢.
(٢) سورة آل عمران الآية (١١٥).
(٣) سورة الإسراء، الآية (٩٧).
(٤) الخصائص ١٣٣/٣.
(٥) الكتاب ١٢/١ والمقتضب ٣٨/١ وضرائر الشعر، ص١٢٢.

خامساً: التسهيل

وهو ترك الهمز، وبه يقرأ بعض العرب، بل إن قريشاً كانت تلجأ إليه وتدع الهمز، فتراهم يقولون في (بئر): بير، وفي (سؤر): سور، وفي (سأل): سال.

ومن التسهيل: قصر الممدود، يقال: (صحرا) في صحراء، قال العرجي[١]:

أنزل الناسَ بالظواهر منها وتبوَّأْ لنفسه بطحاها

وهذا البيت فيه شاهدان: قصر الممدود في (بطحاها)، والأصل: (بطحاءها)، والشاهد الآخر: (تبوَّأْ) والأصل (تبوَّأَ)، ولكنه سهَّل.

وقال الآخر[٢]:

تقاذفَه الروادُ، حتى رَمَوا به وورا طَرَف الشامِ البلادَ الأقاصيا

يريد: وراء طرف الشام.

وقال الراجز[٣]:

لا بد من صنعا وإن طال السفر.

يريد: صنعاء.

قال ابن عصفور[٤]: "إنما صارت الهمزة ألفاً بعد القصر، لأنهم سهلوها بإبدالها ألفاً، على حد قولهم في (هنأ): هَنَا.

(١) ضرائر الشعر، ص١١٦.
(٢) الخصائص، ١٥٣/٣.
(٣) ضرائر الشعر ص١١٦.
(٤) المرجع السابق ١١٧.

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدالله ورسوله وخيرته من خلقه. أما بعد:

فلعله يتبين للقارئ لهذا البحث أن العرب ما قدَرت شيئاً وأعظمته، كقدرها لغتها واهتمامها بها، ولا غرو، فإن لسان الأمة هو المعرب عما يريده أبناؤها، وهو الحافظ لكيانها.

ولعله يتبين له أيضاً أن العرب تصرفت في لغتها تصرفاً يشير إلى شيء من الترف اللغوي، ومن ذلك التصرف: الاختزالُ الذي لا يقع عليه أول وهلة إلا من رزق فطنة وذكاء.

أسأل الله أن يلهمنا الصواب والرشد. وما توفيقي إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب لأبي حيان النحوي. تحقيق. د. رجب عثمان محمد. مراجعة د. رمضان عبدالتواب مطبعة المدني، مصر، ط. الأولى ١٤١٨هـ.
٢- تذكرة النحاة: لأبي حيَّان النحوي: محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق عفيف عبدالرحمن (بيروت – مؤسسة الرسالة) سنة ١٩٨٦م.
٣- خزانة الأدب للبغدادي تحقيق الشيخ عبدالسلام هارون، مطبعة المدني، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ.
٤- الخصائص لأبي الفتح، عثمان بن جنى (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد النجار، ط.٢، (بيروت– دار الهدى) بدون تاريخ.
٥- ديوان الحماسة، لأبي تمام الطائي، تحقيق ونشر: عبدالمنعم خفاجي، ط. (القاهرة – مطبعة صبيح)، سنة ١٩٥٥م.
٦- ديوان عنترة بن شداد، ط١، (بيروت – دار الكتب العلمية) سنة ١٩٨٥م.
٧- شرح الأشموني على الألفية. ط. دار الفكر.
٨- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: د. عبدالمنعم هريدي، دار المأمون للتراث. ط. الأولى ١٤٠٢م.
٩- صحيح مسلم، لأبي الحسن، مسلم بن الحجاج، ط. (بيروت – دار الخير، ط. الأولى، ١٤١٤هـ).
١٠- ضرائر الشعر.. لعلي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط١. (بيروت دار الأندلس) سنة ١٩٨٠م.
١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق وإجازة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، دار الفكر، بيروت (ط. الأولى ١٤١٤هـ).
١٢- فقه اللغة المقارن، لإبراهيم السامرائي، ط. (بيروت – دار العلم للملايين) سنة ١٩٦٨م.
١٣- الكامل في اللّغة والأدب، .. لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، (ت

٢٨٥هـ)، ط. (بيروت – مكتبة المعارف) بغير تاريخ.

١٤- الكتاب.. لأبي بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عبدالسلام هارون، ط. (القاهرة – الهيئة العامة للكتاب) سنة ١٩٧٩م.

١٥- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت ط. الأولى ١٤١٠هـ.

١٦- مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب (١)، المجلد الرابع، بحث بعنوان: "حذف النون وشبهها قبل لام التعريف"، للدكتور محمد الباتل، من ص١٦٥-١٩٥.

١٧- معاني القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط. الأولى ١٤١١هـ، مطبعة المدني مصر.

١٨- معاني القرآن.. للفراء، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار، ط١، (القاهرة – دار الكتب المصريّة) سنة ١٩٥٥م.

١٩- المقتضب للمبرد. عالم الكتب (بيروت – دون تاريخ نشر).

٢٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق وشرح: عبدالعال سالم مكرم، ط. (الكويت – دار البحوث العلمية)، سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

فهرس الموضوعات

-المقدمة ١٠١٨
- توطئة ١٠٢٣
-حالات الاختزال ١٠٢٥
أولاً: حذف حرف واحد ١٠٢٥
١-التفصيل ١٠٢٥
أ– حذف النون ١٠٢٥
ب- حذف الألف ١٠٢٨
ج- حذف أحرف أخرىٰ ١٠٣١
ثانياً: حذف أكثر من حرف ١٠٣٤
ثالثاً: الحذف في حشو الكلمة ١٠٣٦
رابعاً: الاجتزاء ١٠٣٧
خامساً: التسهيل ١٠٣٨
الخاتمة ١٠٣٩
المصادر والمراجع ١٠٤٠
فهرس الموضوعات ١٠٤٢